

## توسعة

## السعي

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١)

السعي أحد أركان العمرة والحج؛ فعلى المعتمر أو الحاج إذا فرغ من الطواف إتيان المسعى والسعي فيه على سبعة أشواط مبتدأً من الصفا ومختتماً بالمروة.

إنَّ الصفا والمروة جبلان معروفان، فالصفا جزء من جبل أبي قبيس والمروة جزء من جبل قعيقعان (٢).

وقد خص الله سبحانه المبدأ والمنتهى بعلامتين طبيعيتين غير متغيرتين عبر العصور والقرون لكي لا يطرأ التغير على تلك الفريضة، من جهة المبدأ والمنتهى.

ذكر الفاسي أن طول المسعى (أربعمائة وخمسة أمتار) وعرضه (في بعض المواضع عشرة أمتار وفي البعض الآخر اثنا عشر متراً) (٣)، هذا ما ذكره الفاسي (٨٣٢هـ) حسب ما نقله عنه رفعت باشا في كتابه «مرآة الحرمين» والذي زار مكة بين عام ١٣٦٨ - ١٣٦١هـ مرة بعد أخرى. وأمّا في الوقت الحاضر فإن عرضه يبلغ ٢٠ متراً ويبلغ طوله من الداخل ٣٩٤/٥ متراً، و أمّا ارتفاع الطبقة الأولى فهو

الشيخ جعفر  
السبحاني



الاحتمالين، خصوصاً أن الحجاج لم يزالوا على تزايد واحتشاد، فتسهيل الأمر من جانب وبيان الحكم الشرعي من جانب آخر يستدعيان البحث والتتبع والتحقيق في ذلك.

فلنذكر ما وقفنا عليه من خصوصيات المسعى في العصور السابقة، فهذا هو أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى (المتوفى بعد عام ٢٢٣هـ) يشرح لنا كيفية المسعى في ذلك العصر:

- ١ - دُرْع ما بين الركن الأسود إلى الصفا فصار ٢٦٢ ذراعاً و١٨ إصبغاً.
- ٢ - دُرْع ما بين المقام إلى باب المسجد الذي يخرج منه إلى الصفا فكان ١٦٤/٥ ذراعاً.

١٢ متراً والطبقة الثانية ٩ أمتار، ولعل الاختلاف في العرض نشأ بسبب إزالة المحلات والبيوت التي كانت موجودة على الجانب الشرقي للمسعى، والتي كنت قد شاهدتها مقفلة أيام موسم الحج عند تشرفنا بزيارة بيت الله الحرام عام ١٣٧٥هـ .

لا شك أنه لم يطرأ على المسعى أي تطوّر في جانب الطول لما عرفت من أن الجبلين الشاخين ثابتان في مكانهما، إمّا الكلام في جانب العرض فهل المسعى في عصر الرسول كان محدوداً بهذا العرض المعين أو كان أوسع من الموجود حالياً؟

وهذا ما يطلب لنفسه التتبع الواسع وجمع القرائن على دعم أحد



- ٣ - وذُرع ما بين باب المسجد الذي يخرج منه إلى الصفا إلى وسط الصفا، فكان  $112/5$  ذراعاً.
- ٤ - وذُرع ما بين العلم الذي على باب المسجد إلى المروة فكان  $500/5$  ذراعاً.
- ٥ - وذُرع ما بين الصفا والمروة فكان  $767/5$  ذراعاً.
- ٦ - وذُرع ما بين العلم الذي على باب المسجد إلى العلم الذي بجذائه على باب العباس بن عبدالمطلب وبينهما عرض المسعى فكان  $35/5$  ذراعاً<sup>(٤)</sup>.
- وفي حاشية البجيرمي ما يقرب مما ذكره الأزرقى فقد جاء فيها: وقدر المسافة بين الصفا والمروة بذراع الأدمي  $77$  ذراعاً. وكان عرض
- المسعى  $35$  ذراعاً فأدخلوا بعضه في المسجد<sup>(٥)</sup>، وهذان القولان لا يختلفان إلا في نصف الذراع في طول المسعى وعرضه كما هو واضح.
- ويظهر من كلمات المؤرخين أنه حصل التغيير في أيام المهدي العباسي عام  $160$  هـ فقد قال القطيبي: أما المكان الذي يُسعى فيه الآن فلا يتحقق أنه بعض من المسعى الذي سعى فيه رسول الله ﷺ أو غيره، وقد حوّل عن محله كما ذكره الثقات<sup>(٦)</sup>.
- وقال صاحب الجواهر: حكى جماعة من المؤرخين حصول التغيير في المسعى في أيام المهدي العباسي وأيام الجراكسة على وجه يقتضي دخول المسعى في المسجد الحرام وأن هذا الموجود الآن

حيث قال : «ثم انحدر ماشياً وعليك  
السكينة والوقار حتى تأتي المنارة ،  
وهي طرف المسعى، فاسع ملاً فروجك،  
وقل: بسم الله والله أكبر ، وصلى الله  
على محمد وآله، وقل: اللهم اغفر  
وارحم واعف عما تعلم إنك  
أنت الأعزُّ الأكرم، حتى تبلغ المنارة  
الأخرى ، قال : وكان المسعى أوسع مما  
هو اليوم ، ولكن الناس ضيقوه» (٨).

وقد نقله العلامة في التذكرة (٩)، وفي  
المنتهى (١٠)، والبحراني (١١) وصاحب  
الرياض (١٢) إلا أنهم لم يعلقوا على  
الحديث بشيء إلا البحراني الذي  
قال: إن المفهوم من الأخبار أن الأمر  
أوسع من ذلك ، فإن السعي على  
الإبل النبي الذي دلت عليه الأخبار ، وأن  
النبي ﷺ كان يسعى على ناقته لا يتفق  
فيه هذا التضييق ، من جعل عقبه  
يلصقه بالصفاء في الابتداء وأصابه  
يلصقها بالصفاء موضع العقب بعد  
العود ، فضلاً عن ركوب الدرج ، بل  
يكفي فيه الأمر العرفي ، فإنه يصدق

مسعى مستجد، ومن هنا أشكل الحال  
على بعض الناس باعتبار عدم أجزاء  
السعي في غير الوادي الذي سعى فيه  
رسول الله ﷺ، كما أنه أشكل عليه  
إلحاق أحكام المسجد لما دخل منه فيه .

ولكن العمل المستمر من سائر  
الناس في جميع هذه الأعصار يقتضي  
خلافه ، ويمكن أن يكون المسعى  
عريضاً قد أدخلوا بعضه وأبقوا بعضه  
كما أشار إليه في الدروس (٧) .

وحاصل هذه الكلمات أن التضييق  
قد حصل في جهة المسجد لا في الجهة  
الأخرى، بمعنى أن الساعي إذا وقف  
على الصفاء متجهاً إلى المروة فإن  
المسجد الحرام يقع على يساره وأما  
الجانب الشرقي فعلى يمينه فالتغيير  
الذي طرأ إنما طرأ على جانبه الأيسر  
فدخل جزء من المسعى في المسجد،  
وأما الجانب الآخر فلم يُعلم حدوث  
أي تغيير فيه .

وبذلك يعلم مفاد ما رواه الشيخ عن  
معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام

بالقرب من الصفا والمروة (١٣).  
 وبما أنّ الإمام الصادق عليه السلام قد عاصر  
 الدولتين وتوفي عام ١٤٨هـ أي في عصر  
 المنصور قبل أن يتسّم المهدي ملك  
 بني العباس ، كان التغيير قد حصل  
 أيضاً قبل عام ١٦٠هـ ، فهذا يعرب  
 أنّ الناس قد بنوا أبنية طول المسعى  
 اللاصق بالمسجد فضيّقوا المسعى كما  
 أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام ، وقام  
 المهدي العباسي بتهديم البيوت وجعل  
 أرضها جزءاً من المسجد الحرام.  
 ويظهر من الأزرقى أن المساحة بين  
 المسجد والمسعى قد بنيت فيها دور  
 لبعض المكيين .

قال: وللعباس بن عبدالمطلب أيضاً  
 الدار التي بين الصفا والمروة التي بيد  
 ولد موسى بن عيسى التي إلى جنب  
 الدار التي بيد جعفر بن سليمان، ودار  
 العباس هي الدار المنقوشة التي عندها  
 العلم الذي يسعى منه من جاء من  
 المروة إلى الصفا.. ثم إنّه يقول: ولهم  
 أيضاً دار أم هاني بنت أبي طالب

التي كانت عند الحنّاطين عند المنارة  
 فدخلت في المسجد الحرام حين وسّعه  
 المهدي في الهدم الآخر سنة سبع  
 وستين ومائة (١٤).

وهذا يدلّ على أنّ التوسعة التي  
 حصلت في عهد المهدي كانت من  
 جانب المسجد وأنّه هدم البيوت التي  
 كانت مبنية على أرض المسعى .

وقد بلغتنا الأخبار بأن السعوديين  
 بصدد توسعة المسعى بإحداث مسيرين  
 متحاذيين ذهاباً وإياباً ، ويظهر ممّا نشره  
 المشرفون على التوسعة أنّها مبنية  
 على أن يكون القديم للآتي من المروة  
 إلى الصفا ويكون الجديد للنازل من  
 الصفا ذاهباً إلى المروة، وتقع التوسعة  
 في الجانب الشرقي للمسعى لا في  
 جانب المسجد.

وشكل الجبلين الموجود حالياً ربما  
 يلازم كون المسعى الجديد خارجاً عن  
 التحديد بما بين الصفا والمروة .

ومع ذلك كلّه فهناك قرائن تدلّ  
 على أنّ المسعى كان أوسع حتّى من

الجانب الآخر الذي يقابل المسجد وهذه القرائن عبارة عن:

١. إنّ الصفا جزء من جبل أبي قبيس كما أنّ المروة جزء من جبل قعيقعان، فمن البعيد أن يكون طول الجبل وامتداده حوالي ٢٠ متراً من غير فرق بين الصفا والمروة، وهذا يدلّ على أن الامتداد الحالي ليس هو كما في السابق لحصول الحفريات على جانبه.

٢. توجد حالياً بقايا من جبل المروة خارج المسعى في الجانب الشرقي، وهذا يدلّ على امتداده سابقاً ولكنّه حفر لإيجاد الطريق .

٣. يظهر من الحاكم في ترجمة الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي قوله: إنّ دار الأرقم وهي الدار التي كان النبي ﷺ يدعو الناس فيها إلى الإسلام فأسلم فيها قوم كثير - إنّ داره كانت على الصفا وتصلّق بها الأرقم على ولده، فقرأت نسخة صدقة الأرقم بداره: «بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما قضى الأرقم في ربعه ما حاز الصفا أنّها صدقة بمكانها من الحرم لا تباع ولا تورث» .

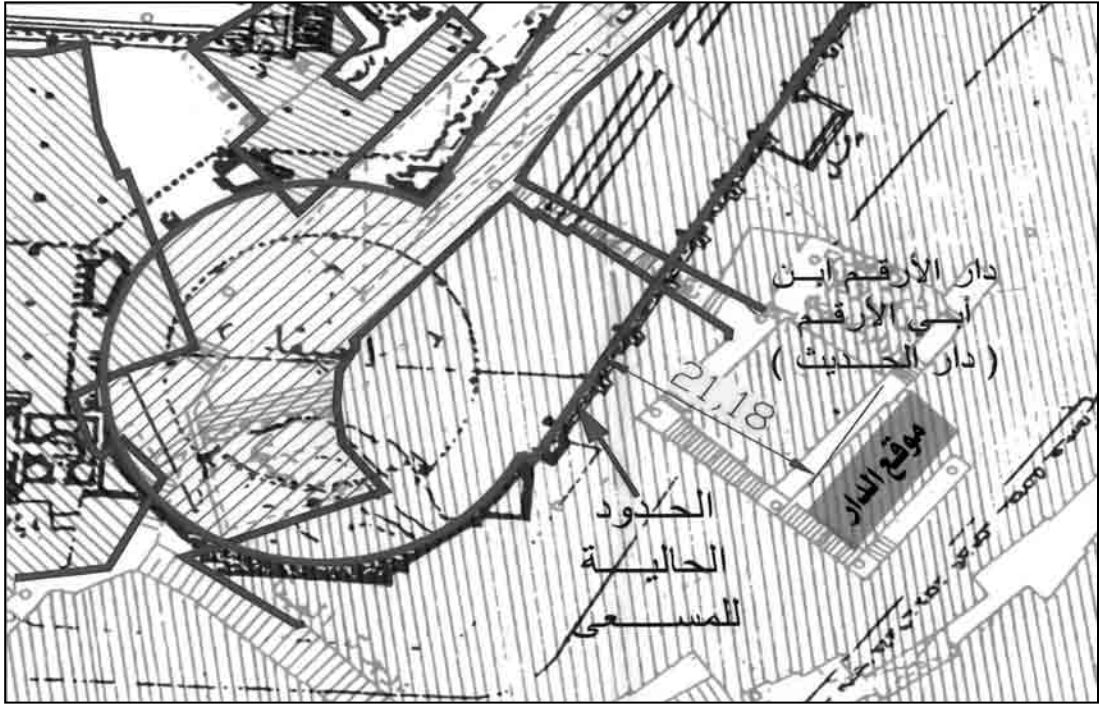
إلى أن قال الحاكم : فلم تنزل هذه الدار صدقة قائمة ، فيها ولده يسكنون ويؤجرون ويأخذون عليها حتّى كان زمن أبي جعفر . قال محمد بن عمر فأخبرني أبي عن يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم قال: «إنّي لأعلم اليوم الذي وقع في نفس أبي جعفر أنّه يسعى بين الصفا والمروة في حجّة حجّها ونحن على ظهر الدار فيمّر تحتنا لو شئت أن آخذ قلنسوته لأخذتها، وإنّه لينظر إلينا من حين يهبط الوادي حتّى يصعد إلى الصفا»(١٥).

وهذه الوثيقة التاريخية تدفعنا إلى القول أنّ المسعى من الجانب الشرقي كان أوسع ممّا عليه الآن .

٤ . إن دار الأرقم صارت في السنوات السالفة مكاناً لما يسمى «دار الحديث المكي» ولو بذلت جهود لسؤال

التوسعة مخططاً ذكروا فيه أن دار الأرقم بن أبي الأرقم «دار الحديث» كانت تبعد عن المسعى الحالي مقدار ٢١/١٨ متراً.

المستين والمعمرين الذين شاهدوا دار الحديث قبل التوسعة وحددوا مقدار الفاصلة بينه وبين المسعى الحالي لكان ذلك دليلاً للموضوع. هذا، وقد نشر المشرفون على



محرم - جمادى الثانية ١٤٢٨ هـ  
توسعة المسعى

تصوير لموقع دار الأرقم في المسعى وهي تبعد عن المسعى الحالي ٢١/١٨ متراً وقد دلت الوثائق التاريخية على أنه كان يومذاك في المسعى

حتى الباحثين في السعودية صرّحوا بذلك وقالوا : لم يوضح المسح التاريخي للصور الامتداد الشرقي لجبل المروة وإن أثبتت أحاديث كبار السنّ والمعمرين من سكان المنطقة وجود امتداد شرقي لسفح جبل المروة يقدر بحوالي ٤٠ متراً بنيت عليه البيوت إلى شارع «المدعى» الموجود جزء منه حالياً .

٧ . بالاعتماد على المسح الجيولوجي لمنطقة جبل المروة ثبت أن امتداد الجبل يستمر إلى مسافة ٣١ متراً، وهذا ما أشار إليه المشرفون في تقريرهم حيث قالوا: إنّ هناك ردميات من البطحاء تظهر في القطاعات المرفقة . كما نجد امتداد الجبل السطحي الموضح في الخريطة الجيولوجية المرفقة يقارب (٣١ متراً) شرقاً، وهو ما تمّ تأكيد وجوده من نتائج الحفر .

٨ . أكدت الدراسات التاريخية والجيولوجية التي قامت

وهذا الذي يعاني منه العلماء والمحققون اليوم هو أحد النتائج السلبية التي سببها هدم الآثار التاريخية المتعلقة بعصر النبي ﷺ وصدر الإسلام والذي تعرّضت له الكثير من المعالم الإسلامية في مكة والمدينة المنورة.

ولو كانت التوسعة مقرونة بحفظ معالم الإسلام وآثاره لما ضاع علينا معرفة حدود المشاعر الإسلامية.

٥ . يحتفظ المشرفون على التوسعة الجديدة بصورة فوتوغرافية قديمة لمنطقة الصفا والتي تظهر - كما يقولون - أنّ هناك امتداداً شرقياً لجبل الصفا كان موجوداً قبل أعمال الهدميات وأثناء عملية الإزالة وبعد الإزالة .

٦ . كما ذكرنا من الدراسة يؤيد امتداد جبل الصفا حوالي ٢٠ متراً إلى الشرق، إنّما الكلام في امتداد جبل المروة بهذا المقدار ولم نقف على ما يؤيد امتداد جبل المروة هذا المقدار،



بها اللجان المشرفة على توسعة  
المسعى أن هناك امتداداً سطحياً  
لجبل المروة بما لا يقلّ يقيناً عن ٢٥  
متراً من الناحية الشرقية، وهذا ما  
ثبت بعد دراسة عينات الصخور  
التي أخذت من الناحية الشرقيّة  
لجبل المروة والتي ظهرت مشابقتها  
لصخور المروة .

هذه معلومات ووثائق حول  
الموضوع أضعها في متناول المحقّقين  
حتّى تكون نواةً للبحث والدراسة  
الموسّعة، وليست الدراسة دليلاً  
على الإفتاء، وإتّما هي خطوة متواضعة  
للغرض المنشود إلى أن ينكشف الحال  
أكثر من ذلك (١٦).



### (الهوامش)

- (١) البقرة: ١٥٨.
- (٢) تهذيب النووي على ما نقله في الجواهر ١٩: ٤٢١.
- (٣) مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا: ٣٢١. نقلاً عن شفاء الغرام للفاسي، وهذا التقدير هو ما ذكره الفاسي مقيساً بالذراع، ثم حوّل إلى الأمتار باعتبار طول الذراع ٤٩ سانتيمتراً.
- (٤) أخبار مكة ٢: ١١٩.
- (٥) حاشية البجيرمي ٢: ١٢٧.
- (٦) تاريخ القطبي: ٩٩.
- (٧) الجواهر ١٩: ٤٢٢.
- (٨) الوسائل ٩، الباب ٦ من أبواب السعي، الحديث ١.
- (٩) التذكرة ٨: ١٣٥.
- (١٠) منتهى المطلب ١٠: ٤١١.
- (١١) الحدائق ١٦: ٢٧١.
- (١٢) رياض المسائل ٩: ٩٤.
- (١٣) الحدائق ١٦: ٢٦٥. ولاحظ الرياض ٧: ٩٤.
- (١٤) أخبار مكة ٢: ٢٣٣ - ٢٣٤، ولاحظ بقية الصفحات.
- (١٥) المستدرک على الصحيحين ٣: ٥٠٢ - ٥٠٣.
- (١٦) وقد تلقينا بعض هذه المعلومات من قبل صديقنا الأستاذ عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان حفظه الله تعالى ورعه، وهو أحد علماء مكة المكرمة.